بين العروض وطلقات المدافع

تحقيق فى بحر الرمل

للشاعر الأستاذ محمد عبد الغنى حسن

قرأت — مع السرور والشكر — ملاحظة عروضية للأديب البارع الأستاذ محمد رجب البيومى تدور حول قصيدتى « على طلقات المدافع » التى نشرت بالرسالة الغراء فى العدد (٩٦٠) . وإذا كان الأستاذ الفاضل قد أعجب (باشراق القصيدة الناصع ودفاعها البليغ من صمت الشعراء) أمام الحوادث المروعة فى قناة السويس فانه مشكور أجزل الشكر على هذه التحية الكريمة التى تعد أجل عزاء عما نشره صديقنا الكريم

من الزمان : الزمان الشعورى والزمان الحركى . فالزمان الشعورى يمثل المستقبل فيه أكثر من شئ واحد ، يمثل الشعور بسريان الاندماج الزمانى والكونى ، والأمل ، والإحساس بالحياة ، والرجاء ، والوجل ، والخوف ، والاطمئنان ، والانتظار ، والترقب ، وكذلك « التغير والتبدل » — والحرية أو الجبرية فى هذا التغير — . أما الزمان الحركى فهو لا يشمل ولا يمثل إلا « التغير والتبدل » واحتمالها فقط . وهذا هو الفرق بين الوجود الحى والوجود الميت . والفرق بين الوجود الأول والوجود الثانى هو الفرق بين الوجود الفعال والوجود الخامد المنفعل

ولكن هل تسير الأمور بقوانين ثابتة لا تتحول ، وبمقتضى سنن موضوعة لا تتبدل ؟ بمعنى أن ما حدث فى الماضى من العلة « ا » لا بد أن يتبعه المعلول « ب » ، ولو علمنا هذه القوانين فهل فى مقدورنا أن نتنبأ بما سيحدث فى المستقبل ؟ هذا موضوع آخر : موضوع السببية والمستقبل . . وسنقدم بحثنا لمشكلة السببية إن شاء الله فى مقال تال

الكلام صلة

عبد الجليل السيد حسن

الأستاذ على متولى صلاح فى العدد (٩٦١) من الرسالة الغراء ناسبا إلى أننى هونت من شأن الأدب وأضعفت من قدر الكلام حينما حملت على الإسراف فى (القول) فى سلعة تحمد فيها (الأفعال) ...

وقد تكون القضية التى يثيرها الأستاذ على متولى صلاح مثارا للدفاع فى غير هذا المقام ، لأنها اتهام لا يصح السكوت عليه ، مثل اتهام الأستاذ رجب بيومي إياى بأننى (لم ألتزم القواعد العروضية فى شعرى) ، وهى تهمة أعيذ الأديب الناقد أن يلقيها من غير برهان ، أو يرميها من غير إحاطة أو شاهد أو بيان . .

فمن قال إن العروض فى بحر الرمل تلتزم ؟ وإن العلة العروضية المعروفة وهى (الحذف) تلتزم فى عروض هذا البحر إلا عند التصريع ؟

لقد شرط علماء العروض فى لزوم العلة أن ترادف العلة لذاتها ، فإذا لم ترد فلا لزوم هناك . ويقول العلامة الشيخ حسين المرصفى صاحب (الوسيلة الأدبية) فى هذا المقام : (والعلة إذا أريدت لزمت فى جميع الأبيات) ص ١٧٠ . وفرق بين هذا القول وبين ما قاله المرحوم الأستاذ محمود مصطفى من أن العلة (إذا عرضت لزمت فلا يباح للشاعر أن يتخلى عنها فى بقية القصيدة) فنحن أمام قولين وقف الشعراء أمامهما بالخيار منذ أن نطق بالعربية لسان ، وهفا بالشعر العربى وجدان . وخاصة أن عدم لزوم العلة فى هذا المقام لا يخل بقواعد العلماء ، ولا يخدش الآذان باضطراب الأوزان

وإذا كان الشاعر المرحوم أحمد شوقى بك قد ألزم العلة فى عروض بحر الرمل فيما نظمه من قصائده ، مثل قصيدة الكتاب التى مطلعها :

أنا من بدل بالكتب الصحابا ... لم أجد لى وافيا إلا الكتابا

وفى قصيدته «الطيارون الفرنسيون» التى مطلعها :

قم سليمان بساط الريح قاما ... ملك القوم من الجو الزماما

وفى مرثيته لسعد زغلول التى مطلعها :

شيعوا الشمس ومالوا بضحاها ... وانحنى الشرق عليها فبكاها

إذا كان شوقى قد فعل ذلك فى زماننا هذا فان شاعرا كبيرا من شعراء القرن الرابع وأوائل الخامس — هو مهيار الديلمى — قد فعل ما قرره العروضيون من عدم لزوم العلة فى عروض بحر الرمل ، ولم يقل أحد من الناس إنه لم يلتزم القواعد العروضية فى شعره ، ولم تشك آذان النقاد من فقدان الموسيقى فى شعره العربى الرصين

ألم يقل مهيار فى قصيدته إلى الوزير أبى المعالى :

أنذرتنى أم سعد أن سعدا دونها يتهدد لى بالشر تهددا
غيرة أن تسمع الشرب تثنى باسمها فى الشعر والاظعان تحدى
قلت : يا للحب من ظبى رخيم صدته فاهتجت ذؤبانا وأسدا
ما على قومك أن صار لهم أحد الأحرار من أجلك عبدا

فالمطلع مصرع وعروضة تامة غير محذوفة . والبيت الثانى كذلك ، والثالث كذلك ، والرابع عروضه تامة محذوفة . أى أن عروض الأول والثانى والثالث « فاعلاتن » : وعروض الرابع « فاعلن » . وهكذا يمضى الشاعر العباسى الفحل فى القصيدة كلها غير ملتزم لعلة « الحذف »

لا عداك الغيث يا دار الوصال كل منهل المرى واهى المزالى

تختلف عليها علة « الحذف » وجودا وعدما فى أبياتها التى تزيد على سبعين بيتا . فبينا تراه يقول فى (حذف) :

حكمت فى الحسن حتى ختمت سمة الرق على عتق الجمال

إذا به يقول بعد هذا مباشرة فى (غير حذف) :

غفلة للدهر كانت تحت ستر من سواد الشعر مسدول مذال

وقصيدته الميمية التى مدح بها الوزير زعيم الدين أبا الحسن والتى مطلعها :

بكر العارض تحدوه النعامى فسقاك الرى يا دار «أثاما»

تختلف أبياتها كذلك بين وجود علة « الحذف » وعدمها فى مواضع كثيرة من القصيدة يسهل الرجوع إليها فى صفحة ٣٢٨ من ديوانه (الأسطر ١٢ ، ١٦ ، ٢ ، ٣ ، ١٣)

ولم يكن مهيار فى الحق — حين فعل هذا كثيرا فى شعره العربى المتين — لاجئا إلى ضرورة ، ولا واقعا فى عيب قبيح ، ولا متكلفا لنبوة فى الأذن ، ولا جاهلا بقواعد العروض التى نبيح هذا إباحة واسعة فى غير النجاء إلى عماية فى أضعف الأقوال وأوهن الآراء

ومن الحق أن نقول هنا ، ونحن بسبيل تحقيق حول وزن الرمل — إن أغلب الشعر الذى روى فى الجاهلية وصدر الإسلام من هذا البحر كان من الضرب الثانى من أضرب العروض الأولى — أعنى أن ضربه على وزن « فاعلن » لا « فاعلاتن » وبهذا كان العروض والضرب فى أغلب هذا الشعر محذوفين ، لأنه لما التزم « الحذف » فى الضرب التزم فى العروض طبعا . وذلك كما فى القصائد الآتية :

قصيدة المرار بن منقذ التى يقول فى مطلعها :

عجب خولة إذ تنكرنى أم رأت خولة شيخا قد كبر

وقصيده سويد بن أبى كاهل اليشكرى التى يقول فى مطلعها :

بسطت رابعة الحبل لنا فوصلنا الحبل منها ما اتسع

وقصيدة المثقب العبدى التى يقول فى مطلعها وفق رواية الأنبارى :

لا تقولن إذا ما لم ترد أن تتم الوعد فى شئ : نعم

وقصيدة جليلة بنت مرة أخت جساس ، التى تقول فيها :

يا ابنة الأقوام إن شئت علا تعجلى باللوم حتى تسألى

وقصيدة طرفة بن العبد التى يقول فيها واصفا حاله فى سفره :

وبلاد زعل ظلمانها كالمخاض الجرب فى اليوم الخدر

أما قصيدة الشاعر الجاهلى عدى زيد العبادى التى وعظ بها النعمان والتى يقول فيها :

من رآنا فليحدث نفسه أنه موف على قرن زوال
وصروف الدهر لا يبقى لها ولما تأتى به صم الجبال
رب ركب قد أناخوا عندنا يشربون الخمر بالماء الزلال
عصف الدهر بهم فانقرضوا وكذلك الدهر حالا بعد حال

هذه القصيدة من الضرب الأول من أضرب العروض التامة المحذوفة من بحر الرمل . والضرب هنا « غير محذوف » أى أن وزنه « فاعلاتن » كما ذهب إلى ذلك محقق الجزء الثانى من « الأغانى » فى طبعة دار الكتب المصرية ، على حين أن صاحب كتاب « أهدى سبيل إلى علمى الخليل » رحمه الله قد عدها من الضرب الثالث (المقصور) الذى تصير فيه « فاعلاتن » إلى